من آثارنا في بيت المقدس

أوقاف الأمير سيف الدين تنكز الحسامي الناصري على القدس

أ. د٠على السيد على

جامعة القاهرة

المقدمة

حظيت مدينة بيت المقدس في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م) بوجه عام، وعصر سلاطين المماليك البحرية (٦٤٨ – ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ – ١٣٨٢م) بوجه خاص بكثير من أوجه تحقيق التكافل الاجتماعي، ونجدة الملهوف ومساعدة المحتاج،

وترسيخ القيم الإنسانية وتحويلها من عادات يحكمها العرف إلى عمل منتظم تحكمه قواعد وترعاه مؤسسات شرعية بما يتفق مع الشرعية الإسلامية، وهو ما يعرف في عصرنا الحديث وعلى الصعيد الاجتماعي باسم حقوق الإنسان[١].

وصاحب هذه الأوقاف هو تَنْكِز الحسامي نائب الشام الذي توفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م. يقول عنه ابن تغري بردي وهو أحد مؤرخي ذلك العصر: هو "تَنْكِز بن عبد الله الحسامي الناصري، الأمير سيف الدين، نائب الشام"[٢]. أي أن اسمه تَنْكِز ولأنه مجهول الأب، ومهما كان أبوه فهو عبد من عباد الله، أما لقب الحسامي فهو من ألقاب النسبة إلى الأمير الذي اشتراه وهو حسام الدين لاجين الذي تولى السلطنة ثم قتل عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م، فآل أمره إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي توفي عام ٧٤١هـ / ١٣٤٠م[٣]. أما لقب سيف الدين لأنه كان من أرباب السيف، أي من العسكريين، ومن ألقابهم كذلك ما ينسب إلى الدين مثل عماد الدين، وعضد الدين، وناصر الدين، وشمس الدين وغيرها من الألقاب.

كان تنكز من كبار العمرانيين، ومن أشهر نواب السلاطين الذين حكموا دمشق الشام من سنة ٧١٢هـ / ١٢١٣م إلى سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩، أي حكم مدة ثمانية وعشرين سنة، إلى أن غضب عليه السلطان، وقبض عليه ثم حبسه في قلعة الإسكندرية حيث قتل بها في شهر المحرم سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م وحمل إلى دمشق حيث دفن بها[٤].

وبالنظر لأعمال البناء والتشييد الواسعة التي قام بها الأمير تنكز في مدينة بيت المقدس فيظل اسمه مقترنا باسم المدينة وآثارها بوصفه واحدا من أعاظم الحكام المسلمين الذين اهتموا اهتماما خاصا بهذه المدينة وتعميرها. وترك لنا آثارا شاهدة على هذا الاهتمام. والحمد لله أن أوقافه مثبتة في سجلات المحكمة الشرعية بالقدس، وفي السجل رقم ٩٢ منها المؤرخ سنة ١٠٢٠هـ نقلا عن الوثيقة الأصلية لهذه

الأوقاف. ونص هذه الوثيقة جاء في خمس صفحات، في كلمات يبلغ عددها حوالي ٤٧٠٠ كلمة[٥]، هذه الوثيقة على جانب كبير من الأهمية إذا وضعنا في اعتبارنا الحق التاريخي للعرب والمسلمين في القدس، باعتبارها حجة وقف ستساعد كثيرا على إثبات ملكية العرب والمسلمين لجزء كبير وأثر مهم أقيم في المدينة وعلى أرضها وما زالت بقاياه شاهدة على ذلك.

فضلا عن أن الوقفية بها معلومات كثيرة لعلماء التاريخ، وعلماء التربية والتعليم لأنها تتضمن معلومات مهمة عن التعليم ومرتبات الهيئات التعليمية، والموضوعات التي كانت تُدرّس، فضلا عن مخصصات الطلبة، وأماكن إقامتهم، وكيفية الإشراف عليهم، وعن القائمين على العملية التعليمية وأجورهم في المدرسة التنكزية وأقسامها ومبانيها المختلفة، وتقسيم طلابها، وكل ما يختص بهم. فضلا عن أن الوقفية تتضمن معلومات على جانب كبير من الأهمية لعلماء الآثار في تصميم المدرسة ولرباط النساء، والحمامين وهما حمام العين وحمام الشفا في سوق القطانين أحد أهم أسواق المدينة، إلى جانب مبنى الطهارة أو المطهرة أو المتوضأ، ثم حوض السبيل[٦].

كذلك أشارت الوقفية إلى إحدى الضياع الموقوفة وهي ضيعة عين قنية أو عي قينيا التابعة لمدينة رام الله اليوم، وكيفية استغلال هذه الضيعة، وعملية تأجير الحمامين، كما أن بها معلومات مهمة لعلماء الاجتماع عن كيفية سبق أسلافنا لما هو معروف في العصر الحديث باسم حقوق الإنسان. فضلا عن أنها تشير إلى أن الولاية والنظر على الوقف هي للواقف في حياته ومن بعده لأولاده وأحفاده وذريته، ثم لعتقاء الواقف ثم لناظر الحرمين الشريفين بالقدس وهما القدس والخليل بمشاركة نائب السلطنة[٧].

أما عن النص الكامل للوقفية فهو على النحو التالي: فهي بعد أن تبدأ بالبسملة والصلاة على الرسول ﷺ، والإشهاد بالوحدانية، وفضل الصدقة وأعلاها صدقة الوقف باعتبارها صدقة جارية، ثم ذكر ألقاب الواقف وكلها تنسب إلى الجهاد والمثابرة وأنه نائب السلطنة بالبلاد الشامية، ثم يتم ذكر العبارة التقليدية في الأوقاف وهي: وقف وحبس وسبّل وأبّد وحرّم وتصدّق، والنص على أن تلك الأوقاف جارية في ملكه وتحت يده ممن هو معلوم عنده، ثم تبدأ في ذكر الموقوفات فتقول: "فمن ذلك جميع المدرسة المباركة التي أنشأها الواقف المسمى مولانا ملك الأمرا المشار إليه تقبله الله منه وهي بمدينة القدس الشريف جوار الحرم الشريف على الباب المعروف بباب السلسلة ويغلق على هذه المدرسة المذكورة باب خاص مكبر بمصراعين من خشب الجوز بصفايح نحاس أصفر ببوابة معقودة بالحجر النحيت الأبيض والأسود والأصفر وبها طراز مذهب مكتوب فيه اسم الواقف المسمى شرفه الله تعالى وكرمه وتشمل هذه المدرسة المذكورة على أربعة أواوين معقودة بالكلس والحجر فى كل واحد منها شباك حديد مطل إلى حارة المغاربة ولكل واحد من الشبابيك المذكورة والمجلسين المشار إليهما باب بمصراعين مطعم بالعاج والأبنوس"[٨]. "..... وجميع هذه المدرسة المذكورة مؤزرة بالرخام الملون وأرضها مفروشة بالرخام الملون. ولها عراقية و... (فراغ) خشب ورفرف مدهون وفي وسط هذه المدرسة المذكورة بركة مثمنة يجري لها الماء من قناة العروب بحق واجب معلوم من معلم مشترك ينقسم ماؤه بين جهات الحرم الشريف وبين هذه المدرسة المذكورة من الفرع المساق من قناة العروب بحق واجب معلوم ولهذه المدرسة مطبخ برسم المرتبين بهذه المدرسة المذكورة الآتي ذكرهم. ولهذه المدرسة طهارة تشمل على خمسة بيوت مبنية بالحجارة النحيت والكلس أحدها مستحم وفي كل بيت منها جرن حجر يجري إليه الماء من قناة العروب المذكورة بمقسم خاص بها بحق واجب معلوم. وجميع أواوين هذه المدرسة المذكورة مبلطة

بالبلاط الأبيض وحايط هذه المدرسة القبلي مبني على أقبا رومية تعرف قديما باصطبلات الداوية. وهي من حقوق هذه المدرسة المذكورة ويتطرق إلى هذه الأقبا من حارة المغاربة بباب خاص وتحت الجانب الشرقي من هذه المدرسة المذكورة قبو سليماني قديم جدده الواقف المسمى تقبل الله منه وبها بير لجمع ماء الأشتية الذي يترل إليه من طرق أعدت له في أسطحة المدرسة المذكورة طوله خمسة وأربعون ذراعا بالذراع القاسمي وعرضه تسعة عشر ذراعا بالذراع المذكور ويستقي الماء من هذا القبو من طاقة في بيت استجده الواقف المسمى أدام الله تع نعمته..."(٩).

وعن بيوت الطلبة أو ما يسمى الآن بالمدينة الجامعية، تقول: "وفي هذه المدرسة المذكورة اثنان وعشرون بيتا فيها في السفل من هذه المدرسة المذكورة أحد عشر بيتا برسم الفقهاء الحنفية الآتي ذكرهم منها بيت برسم بواب المدرسة المذكورة والباقي في علو المدرسة المذكورة وهو أحد عشر بيتا برسم الصوفية الآتي ذكرهم وجميع هذه البيوت معقودة بالكلس والحجارة ولكل بيت منها باب خاص مكبر وعلى ظهر بوابة المدرسة المذكورة طبقة ذات منافع ومرافق ومراقد شرقي وغربي وسقفها خشبي ولها طاقات مطلة إلى جهة الشمال وشبابيك حديد ولها مرتفق خاص وعلى ظهر بيتين من بيوت العلو المقدم ذكرها طبقة بسقف خشب بها طاقات مطلة إلى جهة القبلة ومنافع ومرافق ومرتفق خاص ويصعد إلى ذلك وإلى المسجد الآتي ذكره من السلم الحجر ... (فراغ) المدرسة المذكورة وهاتان الطبقتان المذكورتان برسم سكن من يختار الناظر في هذا الوقف إسكانه فيهما وظهر ذلك جميعه وأهويته ... (فراغ) وفايض مياهه وأوساخ مرتفقاته تنصرف إلى قناة الوسخ التي استجدها الواقف المسمى بحق واجب. حد هذه المدرسة المذكورة من القبلة حارة المغاربة ومن الشرق الحرم الشريف ومن الشمال الطريق وإليه يفتح باب هذه المدرسة ومن الغرب دار تعرف بدار الحاج أيوب المصري." (١٠).

ثم تتحدث عن طلبة العلم بهذه المدرسة فتقول: "فأما المدرسة المبدأ بـذكرها وما بها من الأبنية سفلا وعلوا فقد وقف الواقف المسمى ذلك تقبل الله منه وقفا صحيحا شرعيا على الفقهاء الحنفية والمحدثين والصوفية وشرطه أن يكون حافظا لكتاب الله تعالى عالما بمذهب الإمام سراج الدين أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله تعالى عنه ملازما لذكر الدرس بهذه المدرسة المذكورة على جاري العادة في ذكر الدروس وأن يكون إماما في الصلوات الخمس بالمسجد الذي هو الإيوان القبلي من المدرسة المذكورة. وصلاة التراويح في ليالي شهر رمضان المعظم من كل سنة بمن يحضر إلى المسجد المشار إليه من كافة المسلمين، وأن يستعرض المتوسطين والمبتديين من الفقهاء والمتفقهة بالعلم الشريف وبحيث من يحضر منهم عنده في درس المدرس ويفعل مثل ذلك بعد صلاة العصر كل ذلك في أيام ذكر الدروس"[١١]. وعن عدد الطلبة فهم: "خمسة عشر فقيها ومتفقها يرتبون ثلاث طبقات منتهيون ومتوسطون ومبتديون ويكن منهم خمسة أشخاص مزوجين وعلى كل واحد منهم حضور هذه المدرسة... الدرس وملازمة الاشتغال بها والمبيت فيها على جاري العادة ومن مضت منهم عليه أربع سنين من حين ترتيبه بالمدرسة المذكورة ولم يكمل حفظ كتاب في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ويظهر عليه الفقه فيستبدل الناظر على هذا الوقف غيره ويقدم الفقيه الغريب على الفقيه من أهل القدس ويقدم العزب على المزوج منهم وعلى هؤلاء المذكورين أجمعين من المدرس والمعيد والفقهاء والمتفقهين الاجتماع لذكر الدروس في الإيوان القبلي المشار إليه وأن يقرأ كل واحد منهم جزءا من ثلاثين جزء من كتاب الله تعالى العزيز في الربعة الشريفة ويختمون بقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب العزيز وأوايل السورة التي تذكر فيها البقرة ثم يدعو المدرس عقب ذلك لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد خلد الله تعالى سلطانه وللواقف المسمى تقبل الله تعالى منه ولذريته المباركة

كثرهم الله تعالى ويستغفر الله تعالى لهم ويسأله أن يجعل ثواب ذلك في صحايف الواقف المسمى..." (١٢).

وعن الشروط الواجب توافرها فيهم جميعا فهي: "ومن شرط كل واحد من الجماعة المذكورين أن يكون من أهل الخير والدين والصلاح". وعن عملية حصر الغياب والحضور فقد نصت الوثيقة على أن: "تضبط غيبة الفقهاء ممن يُعينه الناظر في هذا الوقف لذلك ومن غاب منهم لعذر شرعي سومح في مدة الغيبة في جامكيته وجرايته الآتي ذكرهما ومن غاب منهم بغير عذر شرعي نقص من جامكيته وجرايته بقدر مدة غيبته. وأما المحدثون بحديث رسول الله ﷺ وهم الشيخ ومن شرطه أن يكون عالي الرواية مقصودا بالسماع عليه والأخذ عنه حسن الضبط. والقاري للحديث النبوي على قايله أفضل الصلوات وأتم السلام وشرطه أن يكون جيد الضبط حسن القراءة وأن يقرأ في الميعاد – أي درس الوعظ والإرشاد – بهذه المدرسة من صحيح البخاري رض الله عنه ما تيسر فإذا أكمل قراءة جميع الصحيح المذكور في المواعيد قرأ من صحيح الإمام مسلم رضي الله عنه حتى يكمل قراءة جميعه كذلك وكلما فرغ من قراءة هذين الصحيحين في المواعيد أعاد قراءتهما كذلك"(١٣).

أما عدد طلاب الحديث فقد نصت الوثيقة على أنهم: "عشرون محدثا وعلى كل واحد منهم أن يحفظ في كل يوم من أيام الميعاد حديثا واحدا من الأحاديث الثابتة عن سيدنا محمد ﷺ ويعرضه على الشيخ بعد فراغ الميعاد وعلى جميع هؤلاء الجماعة المذكورين من الشيخ والقاري والمشتغلين في الحديث أن يجتمعوا كل يوم بعد صلاة الظهر في الايوان الشرقي من المدرسة المذكورة ويقرأ كل أحد منهم ما تيسر من كتاب الله تعالى في الربعة الشريفة ويختمون القرآن بقراءة ما ذكر من ختم قراءة الفقهاء من القرآن العظيم ثم يدعو الشيخ كدعاء المدرس المقدم ذكره ثم يقرأ القارئ

من أحد الصحيحين المذكورين كما ذكر على جاري العادة في ذلك ويضبط القارئ أسماء الحاضرين من المرتبين وغيرهم على جاري عادة المحدثين"[١٤].

أما الشروط التي اشترطتها الوثيقة فيهم فهي: "ومن شرط كل واحد من هؤلاء الجماعة المذكورين أن يكون من أهل الخير والدين والصلاح وحكمهم في الغيبة كما ذكر في حق الفقها." وعن الصوفية فتقول الوثيقة: "وأما الصوفية المنتسبون إلى الاقتدا بالسادة مشايخ الصوفية رضي الله عنهم وهم الشيخ المرتب للمشيخة عليهم وخمسة عشر صوفيا يكون واحد منهم خادما وآخر طباخا لهم وعليهم أجمعين أن يجتمعوا صبيحة كل يوم قبل طلوع الشمس في المسجد العلوي... ويقرأ كل واحد منهم ما تيسر من كتاب الله تعالى في الربعة الشريفة ويجتمعون للقراءة بقراءة ما تقدم ذكره ثم يذكرون الله تعالى ويختمون الذكر بالصلوة على رسول الله ﷺ عشر مرات فيقولون اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وسلم، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ثم يدعو الشيخ كدعاء المدرس المتقدم ذكره ثم يقرأ واحد منهم ما تيسر من رسالة الإمام القشيري رضي الله عنه ويفعلون مثل ذلك بعد صلاة العصر"[١٥]. ثم نصت الوقفية: "وعليهم المبيت بالمدرسة المذكورة على جاري العادة" واشترطت فيهم أن "يكون كل واحد منهم من أهل الخير والدين والصلاح"[١٦].

وعن القائمين بالعمل في المدرسة فقد نصت وثيقة الوقف أنه: "ومن شرط هذا الوقف أن يرتب الناظر في الوقف في المدرسة المذكورة مقريًا – أي مقرئًا – وقيمين "أي فراشين" وبوابا، وعلى المقري قراءة ربع جزء من ثلاثين جزأ من كتاب الله تعالى العظيم في المصحف الكريم بالإيوان الشرقي من تلك المدرسة المذكورة عند الشباك

المطل إلى الحرم الشريف بعد صلاة الصبح في كل يوم من الأيام ثم يقرأ بعد ذلك شيا من تفسير القرآن العظيم ثم يدعو كدعاء المدرس المقدم ذكره."

وتحدد الوثيقة عمل الفراشين فتقول: "وعلى كل واحد من القيمين فرش هذه المدرسة المذكورة وفرش المسجد العلوي... من شامه بالحصر والبسط وتنظيف ذلك جميعه وكنسه وإيقاد مصابيحه وطفيها وغسل بركة المدرسة وغسل طهارتها وكنسها على جاري العادة في ذلك جميعه وأن يؤذنا بالنوبة على باب المدرسة المذكورة في الأوقات الخمس وصاحب النوبة يقيم الصلوة ويبلغ خلف الإمام ويتولى إحضار الربعة الشريفة إلى الإيوانين المشار إليهما في المدرسة المذكورة عند اجتماع الجماعة فيها من الفقها والمحدثين ومفرق الأجزا الكريمة على الجماعة المشار إليهم وجمعها بعد فراغهم من القراءة في الصندوق المعد لها ثم يرفع الربعة الشريفة إلى المكان المختص بها في المدرسة المذكورة ثم يفعل كذلك عند اجتماع الجماعة الصوفية في المسجد العلوي المشار إليه"[١٧].

وأنه تحتم على البواب لهذه المدرسة "ملازمتها وحفظها في الليل والنهار وفتح باب المدرسة وغلقه في الأوقات التي جرت العادة بها". كما اشترطت فيهم عدة شروط حيث نصت على: "ومن شرط كل واحد من هؤلاء الأربعة المذكورين أن يكون من أهل الخير والدين والصلاح". أما عن العمالة الفنية لهذه المنشأة فقد نصت أن يرتب الناظر على هذه الأوقاف الخاصة: "معمارا وجابيا وكاتبا على جاري العادة ويكون كل واحد منهم من أهل الخير والدين والصلاح"[١٨].

وتجدر الإشارة إلى أن تنكز قد أنفق على بناء مدرسته عن سعة. فقد وصفها صاحب كتاب الأنس الجليل بأنها "مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها وهي بخط باب السلسلة، ولها مجمع راكب على الأروقة الغربية للمسجد"[١٩]. ومبناها لا يزال قائما إلى الآن يقدم أفضل الأمثلة على المدرسة ذات التخطيط

المتعامد في مدينة بيت المقدس، وواجهة المدرسة الشمالية تطل على ساحة صغيرة بباب السلسلة، بينما واجتها الشرقية تطل على رواق الحرم، والواجهة الجنوبية تشرف على حائط البراق أو حائط المبكى كما يسميه اليهود، أما الواجهة الغربية تشرف على المباني المجاورة لها. وقد تجلى الفن المعماري المملوكي بصورة رائعة في بناء هذه المدرسة الذي حفل بكثير من الزخارف التي تزين بوابتها العالية ذات الأحجار الملونة. ويبلغ طول مبنى المدرسة من الشمال إلى الجنوب ٢٨ مترا، ومن الشرق إلى الغرب ٢٥ مترا[٢٠].

ولم لا ويعكس مبنى المدرسة مدى الترف والبذخ الذي تمتع به تنكز، فقد بلغت جملة أملاكه التي قامت مجموعة من الأمراء وأرباب الخبرة بتقديرها بحوالي أربعة عشر مليونا من الدراهم الفضة[٢١]. وفي موضع آخر يقول نفس المصدر "هذا جميعه خارج عما له من الأملاك ووجوه البر بصفد وعجلون والقدس الشريف ونابلس والرملة وجلجولية والديار المصرية"[٢٢]. بينما يذكر المقريزي أن ثروته التي تم حصرها قاربت الأحد عشر مليونا من الدراهم الفضة "سوى أملاكه وأوقافه بصفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة وجلجولية والقاهرة"[٢٣]. بينما يذكر أبو المحاسن أن ثروته من أملاكه بلغت حوالي ثلاثة عشر مليون وأربعمائة وثلاث وخمسين ألف درهم، وخمسمائة درهم[٢٤]. من أملاكه وهي عبارة عن عدة مزارع، وضياع، وحوانيت، وطواحين، ومعاصر، وأفران، وحمامات، وخانات، وأراضي، وقرى، ودور وغير ذلك من الأملاك[٢٥]. غير خان المنية الذي عمره تنكز، وكان المسافرون من دمشق ينزلون فيه في طريقهم إلى بيت المقدس، وكان يحتوي على كثير من الغرف ومخازن للبضائع ودكاكين واسطبلات للدواب[٢٦].

كما يذكر أبو المحاسن قوله: "فكان الذي وصل إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من مال تنكز من الذهب العين ثلاثمائة ألف وستة وثلاثون ألف

دينار ومن الدراهم ألف ألف "أي مليون" وخمسمائة ألف، ومن أصناف الجوهر والطرز المزركش وحوائص الذهب والخلع الأطلس شيء كثير، حمل ذلك على ثمانية جمال..." (٢٧).

كما ينبغي أن نذكر أنه قد أضيف إلى المدرسة التنكزية فيما بعد مكتب "كتاب" لتعليم الأيتام منذ عام ٩٥٢هـ / ١٥٤٦م، ويعتقد فان برشام أن المدرسة التنكزية أصبحت بعد وفاة تنكز مبنى من المباني العمومية(٢٨). وفي أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، في عهد السلطان قايتباي زارها الرحالة الألماني فيلكس فابري وقال إنها كانت ديوانا "محكمة" للقضاء. فقد ذكر فابري ذلك عندما قال: وكان بيت القاضي واسعا وعاليا، له سقف ذو قبة. وكان مزخرفا بالمرمر المصقول ومزداناً بالسجاجيد، يدخل إليه الناس من جميع الأديان، لأن القاضي كان يسكن هناك. وقد رأيت نساءً وأطفالا ينظرون إلينا من فتحة السقف(٢٩). ويبدو أنها منذ ذلك الوقت أصبحت مقرا للقضاة، كما اتخذها ناظر الحرمين الشريفين وهما القدس والخليل، وشيخ الإسلام وقاضي القدس مقرا له. كما استمرت كذلك إلى ما بعد نهاية الحكم العثماني في فلسطين سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م. أي أنها ظلت محكمة لأكثر من مائتي سنة عرفت باسم المحكمة الشرعية، غير أنها تحولت إلى سكن مرة أخرى، زمن الانتداب البريطاني، فسكنها مفتي القدس، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، ثم عادت مدرسة عندما أقيم فيها المعهد الإسلامي التابع لوزارة الأوقاف حتى عام ١٩٦٩م، عندما احتلتها قوات الاحتلال الإسرائيلي التي ترابط فيها الآن بحجة أن نوافذها تطل على منطقة البراق وحارة اليهود "حارة المغاربة سابقا". وقد قامت السلطات الإسرائيلية بأعمال حفر وتنقيب تحت الطابق الأرضي للمدرسة وكثير من المباني المجاورة مما جعلها مهددة بالانهيار(٣٠). وفي أشد الحاجة إلى العناية بها وبترميمها قبل أن يفوت الأوان.

ونعود إلى المدرسة التنكزية في أوج ازدهارها، لنلقي نظرة عليها كمنشأة مهمة تقوم بدور جليل فنقول: إن الأمير تنكز قد أبدى حرصه الشديد على أوقافه كي تستمر في أداء عملها بعد مماته فقد اشترط على من يتولى النظارة عليها: "أن يبدأ ناظر الوقف المذكور بإصلاحه وتجديد ما يهي من أبنيته ويفرش المدرسة والمسجد العلوي الذي على القبو المشار إليه..." و "يبتاع في كل سنة بخمسين درهما فضة من المتعامل بها شمعا برسم صلاة التراويح وبخورا من الطيب يبخر به بالمسجد الذي هو الإيوان القبلي من المدرسة المذكورة عند صلوة التراويح... ويبتاع أيضا في عيد الأضحى في كل سنة رأسين من البقر وكبشين مليحين من الغنم الضأن مما يجرى في الأضحية ويضحى بذلك في أيام التضحية ويفرق اللحم على أهل الوقف المذكور وعلى غيرهم من صعاليك المسلمين على ما يراه الناظر في الوقف ويبتاع شمعا يشعل عند قراة القرآن العظيم في المصحف الكريم بعد صلوة الصبح في كل يوم من الأيام في الإيوان الشرقي من المدرسة المذكورة بقدر ما يحتاج إليه في ذلك ويبتاع الناظر في الوقف عند ختم قراءة كل واحد من صحيحي البخاري ومسلم رضي الله عنهما بماية درهم من الدراهم المتعامل بها حلوا (هكذا) ويفرقها على الحاضرين من المحدثين وغيرهم على ما يراه وما فضل بعد ذلك يصرف منه الناظر في هذا الوقف إلى الجهات المذكورة المعينة المشار إليها في هذا الكتاب وإلى من ذكر معها فيه على ما يفصل فيه من الجامكيات والجرايات والطعام وغير ذلك على الوجه الذي يشرح فيه"[٣١].

وقد حدد الواقف مرتبات النازلين بتلك الكلية الجامعية فقال: "فيصرف للمدرس بالمدرسة المذكورة في كل شهر من الشهور ستين درهما فضة وفي كل يوم من الأيام رطلا واحدا من الخبز وإلى المعيد بالمدرسة المشار إليها في كل شهر من شهور السنة ثلاثين درهما فضة وفي كل يوم من الأيام ثلثي رطل من الخبز وإلى كل

واحد من الفقهاء المنتهين في كل شهر من الشهور عشرين درهما فضة وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز ومن كل واحد من الفقهاء المتوسطين في كل شهر من الشهور خمسة عشر درهما فضة وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى كل واحد من الفقها المبتديين في كل شهر من الشهور عشرة دراهم فضة في كل يوم من الأيام نصف رطل واحد من الخبز وإلى شيخ المحدثين في كل شهر من الشهور أربعين درهما فضة وفي كل يوم من الأيام رطلا واحدا من الخبز وإلى قارىء الحديث النبوي على قايله أفضل الصلاة وأتم السلام في كل شهر من الشهور عشرين درهما فضة وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى كل واحد من الجماعة المحدثين في كل شهر من الشهور سبعة دراهم ونصف درهم وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى شيخ الصوفية في كل شهر من الشهور ستين درهما فضة وثلث رطل من زيت الزيتون وثلث رطل صابون وفي كل يوم من الأيام رطلا واحدا من الخبز وإلى كل واحد من الصوفية في كل شهر من الشهور عشرة دراهم فضة وسدس رطل من زيت الزيتون وسدس رطل صابون ويزاد الخادم والطباخ للطعام الآتي ذكرهما على معلوم كل واحد منهما المقدم ذكره في كل شهر من الشهور خمسة دراهم فضة ويصرف إلى كل واحد من الصوفية الخمسة عشر المشار إليهم فيه في كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز"[٣٢].

وبذلك تكون ميزانية المدرسة السنوية على النحو التالي:

المدرس	١ × ٦٠ درهما شهريا × ١٢ شهر	= ٧٢٠	درهما سنويا
	١ رطل من الخبز يوميا ×٣٠×١٢	= ٣٦٠	رطلا من الخبز سنويا
المعيد	١ ×٣٠ درهما شهريا ×١٢ شهر	= ٣٦٠	درهما سنويا

المدرس	١ × ٦٠ درهما شهريا × ١٢ شهر	=	٧٢٠	درهما سنويا
	×٣/٢ رطل خبز يوميا ×٣٠×١٢	=	٢٤٠	رطل في السنة
الفقهاء المنتهون	٥ × ٢٠ × ١٢	=	١٢٠٠	درهم سنويا
	١٢×٣٠×٢/١×٥	=	٩٠٠	رطل من الخبز
الفقهاء المتوسطون	١٢×١٥×٥	=	٩٠٠	درهم
	١٢×٣٠×٢/١×٥	=	٩٠٠	رطل من الخبز
الفقهاء المبتديون	١٢×١٠×٥	=	٦٠٠	درهم سنويا
	١٢×٣٠×٢/١×٥	=	٩٠٠	رطل من الخبز
شيخ المحدثين	×١٢×٤٠	=	٤٨٠	درهما
	١٢×٣٠×١	=	٣٦٠	رطلا من الخبز
قارئ الحديث	١٢×٢٠×١	=	٢٤٠	درهما
	١٢×٣٠×٢/١×١	=	١٨٠	رطلا من الخبز
	١٢×٣٠×١	=	٣٦٠	رطلا من الخبز
المحدثون	١٢×٧ ٢/١×٢٠	=	١٨٠٠	درهم سنويا
	١٢×٣٠×٢/١×٢٠	=	٣٦٠٠	رطل من الخبز
شيخ الصوفية	١٢×٦٠×١	=	٧٢٠	درهما سنويا
	١٢×٣٠×٣/١×١	=	١٢٠	رطلا من الصابون
	١٢×٣٠×٣/١×١	=	١٢٠	رطلا من الزيت
الصوفية	١٢×١٠×١٥	=	١٨٠	درهما
	١٢×٣٠×٦/١×١٥	=	٩٠٠	رطل من الزيت
	١٢×٣٠×٦/١×١٥	=	٩٠٠	رطل من الصابون

المدرس	١ × ٦٠ درهما شهريا × ١٢ شهر	=	٧٢٠	درهما سنويا
	١٥×١/٢×٣٠×١٢	=	٢٧٠٠	رطل من الخبز
الخادم والطباخ	٢×٥×٢	=	٢٠	درهما
الضيوف	١٠×١٠×٢/١	=	٥٠	درهما
	١٠×١٠×٢/١	=	٥٠	رطلا من الخبز
مصاريف سفر لهم	١٠×٥	=	٥٠	درهما

الإجمالي من الدراهم	=	٧٢٦,٦٠٠	درهم سنويا
الإجمالي من الخبز	=	١٠,٥٥٠	رطل سنويا
الإجمالي من الصابون	=	١,٠٢٠	رطل سنويا
الإجمالي من الزيت	=	١,٠٢٠	رطل سنويا

ومما لا شك فيه أن ميزانية هذه المدرسة كانت عند وقفها عام ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م ضخمة جدا بالنسبة لمقاييس ذلك العصر، وإن دلت على شيء فهي تدل على مدى إدراك أهل ذلك الزمان من أن التعليم كان استثمارا جيدا[٣٣].

وينبغي أن نشير أنه جاء في الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية المدونة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أن الأمير تنكز قد أوقف على مدرسته هذه التي في باب السلسلة وعلى رباط النساء عدة أوقاف، وتاريخ الوقفية سنة ٧٣٠هـ. هذه الأوقاف هي الحمام الصغير بجوار المدرسة المذكورة، وثمانية قراريط من قرية عين قينية التابعة للقدس، حاصلها ٢٠٠٠ درهم سنويا، ١٣ دكانا بجوار المدرسة في سوق القطانين حاصلها ٤٥٢ درهما في السنة، وأربعة دكاكين

أخرى في سوق القطانين لم يذكر الدفتر ريعها، وتسع دكاكين بجوار المدرسة ولم يذكر حاصلها كذلك، وطبقتين علو درج العين حاصلها ٩٦٠ درهما سنويا، ومبنى فوق ظهر الرباط يدر ١٠ دراهم سنويا، وخان بالقرب من الحمام المذكور يدر ٢٤ درهما سنويا، وميزان قبان بجوار دار ابن أبو شريفة يدر في السنة ١٢٠ درهما، و٢١ دكانا في مدينة غزة المعمورة وخمسة دكاكين خراب، وريع هذه الدكاكين ١٦ درهما، ونصف حمام في باب القطانين لم يحدد ريعه[٣٤].

ثم تذكر الوثيقة الرباط المجاور للمدرسة وقد كان بمثابة دار للمسنين للنساء أو ملجأ للنساء العجائز والمطلقات، فقالت "فقد وقفه الواقف المسمى تقبله الله منه على اثنتي عشرة امرأة مسلمات دينات خيرات صالحات عجايز خاليات عن الأزواج فقيرات مقيمات في الرباط المذكور"[٣٥].وقد اشترطت وثيقة الوقف أن "تكون إحداهن شيخة لهن وأخرى قيمة للرباط المذكور وبوابة وعلى الفقيرات الواردات إلى هذا الرباط وعلى الشيخة المشار إليها أن تأم (هكذا) بهن في الصلوات الخمس وفي صلوات التراويح في ليالي شهر رمضان المعظم من كل سنة". وعن عمل القيمة والبوابة فإن الوثيقة توضحه بالقول: "وعلى القيمة والبوابة فرش الرباط المذكور بالحصر والبسط وتنظيفه وكنسه وغسل طهارته وحفظ الرباط المذكور كما تقدم في حق بواب المدرسة المذكورة وإيقاد مصابيحه وطفيها". كذلك اشترطت على نساء الرباط: "أن يجتمعن في أحد\ إيواني الرباط المشار إليه بعد صلاة الصبح في كل يوم ويقرأن سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب العزيز ثم يذكرن الله تعالى ويصلين على محمد ﷺ كما تقدم ثم تدعو شيختهن كدعاء المدرس المقدم وحكمهن في الغيبة كما تقدم في غيبة غيرهن.." [٣٦]. وفي موضع آخر جاء فيها: "ويصرف ناظر الوقف إلى شيخة رباط النساء في كل شهر من الشهور عشرين درهم فضة وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى القيمة والبوابة بالرباط المذكور في كل شهر من

الشهور عشرة دراهم فضة وفي كل يوم من الأيام نصف رطل من الخبز وإلى كل واحدة من الفقيرات العجايز العشرة في كل شهر من الشهور سبعة دراهم ونصف درهم وفي كل يوم من الأيام ثلث رطل من الخبز.." [٣٧]. وتؤكد الوثيقة على الدور المهم الذي لعبه الرباط في استقبال زواره من الفقيرات الواردات إليه سواء من القدس أم من خارجها بالنص على أن يصرف الناظر "إلى كل واحدة من الفقيرات الواردات إلى الرباط المذكور مدة عشرة أيام من حين ورودها في كل يوم منها ربع درهم فضة وثلث رطل من الخبز ويقتصر في ذلك على عشر من الواردات إلى الرباط المذكور من غير زيادة عددهن ويقدم الواردات الفقيرات الغريبات على الفقيرات من أهل القدس وكذلك في النساء المرتبات في الرباط المذكور.." [٣٨]. وفي موضع آخر تنص الوثيقة على رعاية عتيقات الواقف وتوفير المأوى والمأكل لهن فقالت: "ومن اختارت من عتيقات الواقف المسمى أدام الله تعالى نعمته أن تكون في رباط النساء المذكور فيرتبها الناظر من جملتهن بالمعلوم والجراية وتكون مقدمة على غيرها من الأجانب المرتبات فيه" أي تكون لها الأولوية في ذلك على غيرها[٣٩]. وفي نهاية الوثيقة توقيع شاهدين.

وأما الحمامان فمنهما "القبلي والغربي المتجاورين اللذين أنشأهما الواقف المسمى أعز الله تعالى أنصاره وهما بمدينة القدس الشريف بوادي الطواحين فالقبلي منهما وهو ... (فراغ) يغلق عليه باب خاص يدخل منه إلى مشلح – أي الغرفة أو القاعة التي تخلع فيها الملابس في الحمام – فيه مساطب مستديرة به مبنية بالحجر والكلس وفيه بركة الماء البارد مرضحة هي وما حولها وأرض المشلح المذكور بالرخام الملون وفي غرب هذا المشلح روشن – كلمة فارسية تعني الكوة في الجدار أو ما شابه ذلك – يصعد إليه بسلم حجر وفي شرقيه ثلاثة شبابيك حديد بأبواب مطلة إلى الجنينة التي فيها أشجار نارنج وورود هذه الجنينة مضافة إلى هذا الحمام من حقوقه

ويدخل من هذا المشلح إلى داخل هذا الحمام ويشتمل على قبة معقودة بجامات زجاج تحتها أربعة أجرنة رخاما وعلى أربع مقاصير معقودة قبابا بجامات – وهي كلمة فارسية جمع كلمة جام وهو الكأس – فهن ثلاث موزرات بالرخام الملون تشتمل كل واحدة منهن على جرنين رخاما والرابعة تشتمل على جرن واحد رخاما وفي بيت الزجاج من هذا الحمام جرن رخام وطشتية مرخمة برسم الماء البارد وأرض جميع هذا الحمام المذكور ومقاصره مرخم ذلك جميعه بالرخام الملون ويتصل بهذا الحمام أقميمه – أي فرن الحمام – المبارك وفيه آلته المتخذة لمائه وفي هذا الإقميم مصنع – أي حوض للماء – يجري الماء وينقسم الماء بينه وبين الحمام الآتي ذكره الذي هو الغربي من الحمامين المذكورين وهو الصغير منهما، وجميع داخل هذا الحمام وأرضه مرخم ذلك جميعه بالرخام الملون وفي الإقميم المقدم ذكره آلة هذا الحمام أيضا المعدة وقدراه وحق هذين الحمامين من الماء من قناة تعرف بالعروب وهو حق واجب معلوم.." [٤٠].

وهكذا تشير الوثيقة إلى أن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام قد أنشأ حمامين أحدهما في وسط سوق القطانين الذي يمتد من باب المسجد الأقصى المسمى بباب القطانين وحتى طريق الواد ولمسافة مائة متر، ويدعى هذا الحمام بحمام الشفا[٤١]. والذي يقول عنه صاحب كتاب الدارس في تاريخ المدارس أن تنكز "عمّر القدس وساق إليه الماء... وعمر به حمامين وقيسارية مليحة إلى الغاية"[٤٢] وتذكر وثيقة الوقف أنه القبلي بالنسبة لسوق القطانين، فحمام الشفا يقع قبلي السوق، وهو الأكبر وأنه كان من مفاخر المعمار، ومن وثيقة الوقف تتبين لنا عدة حقائق، منها أن المشلح وكالعادة كان يأتي بعد مدخل الحمام، وكان فيه بركة ماء مرخمة، وأرض مفروشة بالرخام. كما يتبين أنه شرقي الحمام كانت هناك جنينة تابعة للحمام. ومن المشلح ننتقل إلى ما تسميه وثيقة الوقف داخل هذا الحمام، أو البيت الساخن، وفوق

هذا الجزء من الحمام كانت هناك قبة معقودة بجامات الزجاج وفيها المقاصير والأجران، كما هى العادة فى البيت الساخن. كما يتبين أن الإقميم أو فرن الحمام كان مشتركا بين الحمامين وكذلك ماؤها الذي يوضع في قدور لتسخينه وإمداد رواد الحمام بالماء الساخن.

وقد كان حمام الشفا من حمامات القدس المشهورة، وفي أواخر القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي زاره الرحالة التركي أوليا جلبي، وتحدث عنه فقال: إن كل مريض يدخله يشفى بأمر الله. مما يجعلنا نذكر أن حمام الشفا هذا كانت تنسب له قدرات خارقة على شفاء الأمراض. حيث كان حمام الشفا في الموروث الشعبي مرتبطا باسم سيدنا أيوب. فيقال إن سيدنا أيوب استحم في هذا الحمام وكان يعرف أيضا باسم حمام عاشوراء، أي حمام العاشر من محرم، وكان هذا اليوم من الأيام المرغوب الاستحمام فيها في حمام الشفا وحمام العين، وهو الحمام الثاني الذي ينسب لتنكز، لأن مياه زمزم كانت تفيض وتمتزج بمياه هذين الحمامين، وبذلك فإن الماء يكون له قدرة خارقة على شفاء الأمراض[٤٣]. وإن كان هذا يدعونا للشك، وترجيح أن هذا القول كان كنوع من الدعاية التي يستفيد منها مستأجرو الحمامين. وفي العصر العثماني كانت الضريبة المفروضة على ذلك الحمام قد بلغت أربعة آلاف درهم في السنة، وأن هذا الحمام كان وقفا على الصخرة المشرفة[٤٤].

ومن الطبيعي أن يتغير الحمام بمرور الزمان، وبما أنه منشأة اجتماعية مهمة، فقد لقى كثيرا من أوجه العناية والترميم كمنشأة اجتماعية واستثمارية في منطقة تعد وسط القدس العربية القديمة، ولعل آخر مرة تم ترميمه فيها كانت عام ١٩٨٢م كما يذكر العسلي ذلك[٤٥].

أما الحمام الغربي "من الحمامين المذكورين وهو الصغير منهما." [٤٦]. وهو الذي يعرف بحمام العين وهو يقع عند ملتقى طريق الواد بسوق القطانين، وتسميته

بحمام العين تشير إلى عين العروب التي كان الحمام يستمد ماءه منها بواسطة قناة السبيل التي كانت تحمل مياه عين العروب إلى القدس، حتى طريق باب السلسلة، ثم تتفرغ من هناك. وهو أشهر حمامات القدس في القرن العشرين الميلادي، وهو الحمام الوحيد الذي كان يعمل حتى العقد التاسع من ذلك القرن(٤٧).

وقد مضى عليه منذ إنشائه أكثر من سبعمائة سنة تغير فيها بناؤه، وجدد عشرات المرات، وتقلب عليه عشرات المستأجرين، وكان في مبدأ إنشائه موقوفا على المدرسة التنكزية، إلا أن وثائق القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة / السادس عشر والسابع عشر للميلاد تدل على أنه كان وقفا على المدرسة التنكزية والمسجد الأقصى مناصفة بينهما. وأن مجموع الضرائب المفروضة عليه كانت ستة عشر ألف درهم وهي أعلى ضريبة كانت مفروضة على أي حمام في القدس. مما يدل على أن هذا الحمام كان يرتاده أكبر عدد من الرواد في تلك الفترة. لكن يبدو أن وضع الحمام قد تغير خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، فأصبح وقفا على الذرية لعدة عائلات مقدسية منها عائلة الخالدي، وعائلة نسيبة، وعائلة القطب(٤٨).

وفي سجلات المحكمة الشرعية بالقدس حجج كثيرة تتعلق بهذا الحمام وخاصة فيما يتعلق بتأجيره.. وفي جميع عقود الإيجار يتبين أن قاضي قضاة القدس الشريف هو الذي كان يؤجر الحمام. ذلك لأنه المكلف بالإشراف على الأوقاف والنظر العام فيها بالإضافة إلى ناظر الحرمين الشريفين ونقصد بهما حرم القدس الشريف وحرم الخليل. والحقيقة أن الحمام اليوم يحتاج إلى الترميم والإصلاح، وهو أثر قديم من مجد القدس التليد(٤٩).

وتجدر الإشارة إلى أن الحمامين كانا من المرافق العامة المعروفة في القدس منذ القدم. وقد كانا ضمن مجموعة من الحمامات القائمة في القرن العاشر الهجري/

السادس عشر الميلادي. وقد ذكر الرحالة التركي أوليا جلبي في القرن الحادي عشر ستة من هذه الحمامات في كتابه – سياحة نامة – فقال: يوجد في مدينة بيت المقدس ستة خانات وستة حمامات هي حمام ستنا مريم، وحمام السلطان، وحمام الشفا، وحمام العين، وحمام الصخرة، وحمام البطرك. وهذا الأخير في الغالب للنصارى. وفيها ثمانية عشر سبيلا يشرب منها المار والعطشان(٥٠).

وكانت حمامات بيت المقدس كالحمامات في غيرها من مدن السلطنة المملوكية مراكز اجتماعية مهمة، يرتادها مختلف فئات السكان، وترتبط بالمناسبات الاجتماعية مثل حفلات الولادة، والطهور، والزواج، يرتادها الذكور والإناث في مواعيد مختلفة، ويقوم بالعمل فيها الرجال للرجال والنساء لخدمة النساء. كما كانت الحمامات تدر دخلا جيدا، وليس لدينا معلومات عن مقدار ما كان يدفعه الفرد في العصر المملوكي "٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م"، ولكن من المرجح أنه في أواخر ذلك العصر لم يقل ما دفعه الفرد عن درهم واحد(٥١).

كذلك كانت حمامات القدس تشبه في تقسيماتها الداخلية تقسيمات الحمامات في المدن المملوكية الأخرى من حيث وجود المشالح والغرف الباردة والساخنة والحارة، والمستوقد "الإقميم"، والمغطس، والأدوات المستخدمة فيها، ودور المحتسب وأعوانه في الإشراف على الحمامات ومراعاة النظافة العامة، والشروط الصحية في العاملين به، مع مراعاة آداب الاستحمام، وطريقة استخدام المآزر "الفوط" وأطوالها، وتجديد أمواس الحلاقة كل حين، وتنظيف الحمام كل حين منعا من حدوث أي تلوث محتمل.

أما عن المسجد فقد جاء في وثيقة الوقف هذه: "وسقف هذا المسجد المشار إليه خشب منجور مجري بالذهب واللازورد، وجدره مرخمة بالرخام الملون وفي قبلته خشب محراب مرخم بالرخام الملون ولها عامودا رخام وشباكا حديد مطلان إلى الحرم

الشريف لكل واحد منهما باب بمصراعين مدهون افرنجي وفي شرقيه ثلاثة شبابيك حديد مطلة إلى الحرم الشريف أيضا، ولكل واحد منهما باب بمصراعين مدهون افرنجي ويفتح بابه شاما وهو بمصراعين مدهون افرنجي والشباك الغربي منه مبني على سور الحرم الشريف وفيه ثلاثة شبابيك حديد بأبواب مدهونة افرنجي وشباك إلى ظهر المدرسة المذكورة ويلي هذا المسجد المعمور بذكر الله تعالى من شامه إيوان سقفه منجور مجري بالذهب واللازورد ونصف أرضه من جهة الشرق مما يلي الحرم الشريف مرخم بالرخام الملون وله قنطرتان معقودتان بالحجر النحيت الأصفر والأسود على ثلاثة عواميد رخاما أبيض وله درابزين أبيض ويتطرق منه إلى مجلس له باب خاص بمصراعين مدهون افرنجي بسقف خشب منجور مجري بالذهب واللازورد وفيه من شرقه شباكان حديد مطلان إلى الحرم الشريف ولكل منهما باب بمصراعين مدهون ومن غربيه الحائط المبني على سور الحرم الشريف المتقدم ذكره وفيه بابان يتطرق من أحدهما إلى الطبقة المار ذكرها والثاني يتطرق منه إلى سطح المدرسة المذكورة في هذا الكتاب"[٥٢].

واضح من هذا النص مدى ما وصل إليه فن العمارة في كثير من المنشآت الدينية والزخرفة، وكثرة عدد الشبابيك لتوفير الضوء والتهوية، وكثرة استخدام الرخام والأحجار الملونة، فضلا عن حرص المعمار أي مهندس البناء على توفير مكان بالمسجد عُرِفَ بالمجلس، ربما كان القصد منه ليكون غرفة لإمام المسجد يضع فيها مستلزماته، ويستقبل فيها من يريد السؤال عن شيء من أحكام الصلوات وفقهها. فضلا عن جمال المسجد وسعته ودهاناته التي إن دلت على شيء فهي تدل على سعة الإنفاق.

أما عن الطهارة والتي عرفت كذلك باسم المتوضأ والمطهرة فقد جاء في الوثيقة أن من ضمن الموقوفات: "جميع الطهارة التي أنشأها الواقف المسمى أعز الله تعالى

أنصاره وهي بالقرب من ذلك – أي بالقرب من الحمامين – ويغلق عليها باب خاص وتشتمل على سبعة بيوت أحدها مستحم وبها حوض من قناة العروب. وفايض مياه هذه الطهارة وأخباثها تنصرف إلى قناة الوسخ المذكورة بحق واجب فظهورها خواص لها. حدها من القبلة حوض السبيل الذي أنشأه الواقف المسمى تقبل الله تعالى منه"(٥٣). وإننا نرجح أنها فعلا طهارة أو بيت راحة حيث يتم للمترددين عليها الطهارة بعد قضاء حاجتهم أي بعد التبرز والتبول أي أنها كانت كمراحيض عامة لأنها اشتملت على سبعة بيوت أحدها للاستحمام، أما الباقي فلكل بيت أو مرحاض منها جرن حجر تدخله المياه للتطهر، كما أن أخباثها أي الفضلات الآدمية من براز وبول كان يتم التخلص منها عن طريق "قناة الوسخ" التابعة لها. ومن المستبعد جدا أن تكون "سقاية" للشرب، فقد قام السبيل، وجمعه الأسبلة، بهذا الهدف. وإذا أطلق عليها اسم المطهرة فهذا جائز وكذلك المتوضأ، حيث جرت العادة بأن يدخل المصلون إليها للوضوء قبل الصلاة وكما هو واضح في أواخر العصر المملوكي وفي العصر العثماني(٥٤). وكذلك ما قاله شيخ مؤرخي القدس الحنبلي من أن أي مسجد كان له متوضأ ومن هذه المساجد المسجد الأقصى، فقد كان له باب سمى باب المتوضأ. هذا الباب: "باب المتوضأ الذي يُخْرَجُ منه إلى المتوضأ..." (٥٥). وكثير من مساجدنا الحديثة لها طهارة أو متوضأ، وعادة ما يكون مبناها في مكان منعزل عن مبنى المسجد، ولها باب منفصل يُغلق عليها، وكما هو الحال في طهارة أو متوضأ سيف الدين تنكز. ويؤكد كلامنا هذا ما أورده ابن فضل الله العمري وهو معاصر لتنكز، ففي حديثه عن باب الطهارة الخاصة بالمسجد الأقصى يقول: "باب الطهارة وهو يشتمل على طهارتين إحداهما للنساء والثانية للرجال، وتشتمل طهارة الرجال على ثلاثة وعشرين بيتا وفسقية كبيرة.. وبأعلى طهارة النساء مساكن تكرى لوقف الحرم..." (٥٦).

أما السبيل أو السقاية فوثيقة الوقف تذكر أن حدود الطهارة أو المتوضأ "من القبلة حوض السبيل الذي أنشأه الواقف المسمى تقبل الله تعالى منه وجعله مسبلا لجميع خلق الله تعالى". كما تبين الوقفية أن هذا السبيل كان يستقي الماء "الواصل إليه من فائض بركة قناة العروب".

ومن هذا النص نعرف أن تنكز أنشأ سبيلا جنوب الطهارة أو المتوضأ، وأن هذا السبيل كان يستمد ماءه من بركة قناة العروب. ونستنتج من هذا القول الأخير أنه كانت هناك بركة يتجمع فيها مياه قناة العروب. ربما في مكان قريب من باب السلسلة أحد أبواب المسجد الأقصى، ثم تتوزع منها إلى جهات مختلفة في داخل القدس(٥٧).

والسبيل، بمعنى: المكان الذي يُستقي منه الماء أو عين الماء فهو تعبير استعمل في وقت متأخر بدأ استعماله في أواخر القرن السابع أو أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، أي في عصر سلاطين المماليك(٥٨). على الموضع الموقوف والمعد لأن يوضع فيه الماء المسبل أي المجعول في سبيل الله، وتارة يكون بخصوص الشرب، وتارة للنفع العام على حسب شرط الواقف، وهو من الأعمال الخيرية الجاري ثوابها على أربابها حتى بعد الموت(٥٩).

والواقع أن ماء السبيل كان يُستخرج عادة من صهريج أو خزان لمياه تحت السبيل، هذا الصهريج كان يطلق عليه اسم المصنع المبني تحت الأرض لمخزن الماء فيه. فكلما فرغ ماء السبيل يملأ منه حتى ينفد ماؤه. وكان يلحق بمبنى السبيل حانوت يخصص لوضع الأواني المعدة لتسبيل الماء، وما يستخدم به من الأدوات ويقوم برفع ماء السبيل وتسبيله شخص عرف في المصادر في ذلك العصر باسم المزملاتي كما عرف باسم السقا، الذي كان يعينه ناظر الوقف، وكان يشترط فيه أن يكون حسن الخلق، ذا قوة وأمانة وجودة. وكانت للسبيل عادة أوقات عمل محددة

في الأيام العادية. وفي شهر رمضان. وهي غالبا من وقت الضحى إلى الغروب في كل يوم من الأيام العادية[٥٩]. وفي رمضان من قبل الفطر إلى عشاء الآخرة، ومن قبل الفجر إلى الفجر، بحيث يكون صدقة جارية وحسنة مستمرة طول النهار[٦٠].

ومن الواضح أن سبيل تنكز قد بنى في منطقة مزدحمة بالناس والسكان من مدينة بيت المقدس وفي وسطها وحول الحرم الشريف. وبالقرب من مدخل مدرسة تنكز ورباطه، والحقيقة أن هذا السبيل يعد واحدا من ثمانية وعشرين سبيلا آثارها جميعا موجودة حتى عصرنا الحاضر، كما أنه يعد واحدا من سبعة أسبلة من العصر المملوكي، وهذه السبل تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا، وقد أنشئ هذا السبيل عام ٧٢٩هـ / ١٣٢٧م أما الآن فقد تهدم[٦١].

كما تجب الإشارة إلى أنه روعي في معظم الأسبلة التي أنشئت في مدينة بيت المقدس ومنها سبيل تنكز، أن تكون على الطريق الرئيسي المؤدي إلى قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ليتوافر للمصلين والزوار الحصول على ماء الشرب قبل دخولهم إلى المسجد لأداء فريضة الصلاة. كما أن معظم الأسبلة المقامة في ساحة الحرم القدسي كانت مقامة على آبار تتجمع فيها مياه الأمطار[٦٢].

ويمكن أن نتخذ هذا السبيل نموذجا هندسيا فنقول "إنه كان يحتوى على طابقين الأول عبارة عن بئر محفورة في الأرض لتخزين ماء الأمطار وماء عين العروب القادمة إليها من قناة السبيل، تعلوها خرزة أي غطاء أو سقف من الرخام أو الحجر، أما الطابق الثاني فيرتفع عن سطح الأرض قليلا وتوجد بها المزملة لتوزيع الماء على الراغبين فيه، ويقوم المزملاتي برفع الماء من البئر بواسطة قنوات تجري تحت البلاط المصنوع من الحجر الصلد، وينتهي الماء إلى فتحات معدة لرفع الماء الذي يرفع بكيزان مربوطة بسلاسل مثبتة بقضبان النوافذ، أما طريقة تشغيل السبيل، فكانت تتم بواسطة بكرة فوق البئر محمولة على خشبة مربوط بها حبل. وكان بطرف الحبل

سطل يرفع به المزملاتي الماء إلى القنوات الموجودة تحت بلاط المزملة فيجري إلى النوافذ القائمة عند فتحات القنوات، وكان طالب الماء يصعد على سلالم موجودة أسفل كل نافذة إلى حيث يجد الماء فيحصل على حاجته بالكوز"[٦٣].

كما تجب الإشارة إلى أننا لم نعثر لا في وثيقة الوقف ولا في المصادر المعاصرة على أي ذكر للأدوات التي كانت تستخدم في هذا السبيل، ولعل السبب راجع إلى كونها لم تختلف عن غيرها من أدوات، وهي التي استخدمت في ذلك العصر في المدن التي خضعت لسلطنة المماليك. منها على سبيل المثال سُلب الليف أو الكتان، والأدلية الجلد، وآنية الشرب الطسوت والأسطال النحاس، والأباريق، والقلل الفخار، والسفنج، والفوط للمسح، ولعله تم تخصيص بعض الأماكن لحفظ تلك الآلات في حانوت السبيل الذي أشرنا إليه، وكما كان متبعا في الأسبلة الأخرى في مدن أخرى[٦٤].

وعن الضيعة التي وقفها وهي ضيعة عين قينة أو عين قينيا التابعة لمدينة رام الله، فقد جاء ذكرها في وثيقة الوقف على النحو التالي: "ومن ذلك جميع الضيعة ومزارعها المعروفة بعين قينة من عمل القدس الشريف وتشتمل هذه الضيعة ومزارعها على أراضي عاطلة وعامرة وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصاريف ومشاتي ومروج وصير وبيادر وطواحين تدور بماء الأشتية وأشجار زيتون ونارنج وكروم عنب مختلف الأجناس وبساتين وجناين وتين وخروب وغير ذلك ودمنة برسم سكان فلاحيها وبها أعين ماء نبع سادحة حد هذه الضيعة ومزارعها بكمالها من القبلة أراضي قرية نوبا وتمام الحد أراضي قرية كفرتيا ومن الشرق أراضي قرية رام الله وتمام الحد أراضي لدنا من الشمال أراضي قرية دير بن شعبان وتمام الحد أراضي قرية الرأس ومن الغرب أراضي قرية دجانية وتمام الحد أراضي قرية دير بزيع بجميع حقوق ما ذكر وسمي ووصف وحدد وطرق ذلك ومرافقه وسفله وعلوه وأبنيته وأحجاره ورخامه

وبلاطه وأخشابه ورفوفه وأبوابه وحديده وبقية آلاته وما يختص به من القنى والمجاري وبكل حق هو لذلك داخل فيه وخارج عنه معروف به منسوب إليه"[٦٥].

وبعد أن حددت الوثيقة حدود هذه الضيعة الأربعة، وأنواع أراضيها، وما بها من طواحين وأشجار فاكهة مختلفة، وعيون الماء، ومساكن فلاحيها، وقنوات المياه فقد ذكرت أنه على ناظر هذا الوقف "أن يصرف من ريع الموقوف المذكور ما يُحتاج ذلك إليه من مشترى أبقار وآلات وتقوية فلاح". واشترطت عليه ألا "تؤجر الضيعة المذكورة وأراضيها ولا شيء منها في عقد واحد أكثر من سنتين ولا يستأنف على ذلك عقد حتى ينقضي العقد الأول ويعود إلى يد الناظر" ثم جمعت الوثيقة بين كيفية تأجير هذه الضيعة والحمامين فقالت: "ولا يؤجر الحمامان المذكوران في عقد أكثر من سنة واحدة ولا يؤجر ذلك من مفلس ولا عاطل ولا متشرد ولا متجول ولا من يعلم أنه يستأجره من هذه صفته..." ثم ذكرت الوثيقة أن "النظر في هذا الوقف والولاية عليه لمولانا ملك الأمرا الواقف المسمى في هذا الكتاب المبارك أحسن الله تعالى إليه وأفاض نعمه عليه مدة حياته المباركة فيها أطالها الله تعالى ومن بعده يكون النظر في ذلك للأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد أولاده وذريته المباركة كَثَّرَهُم الله تعالى ومن بعدهم يكون النظر للأرشد الأسن من عتقا الواقف المسمى أعزه الله تعالى ومن بعدهم يكون لناظر الحرمين الشريفين بالقدس وبمدينة الخليل بمشاركة الحاكم بالقدس الشريف له في ذلك حاكما بعد حاكم وناظرا بعد ناظر" وفي مسألة جعل النظر على هذه الأوقاف لسيف الدين تنكز لأنه يعلم المصادرات في عهده، ويجنب جزءا من ثروته تلك المصادرات، ليضمن دخلا شبه ثابت من تلك المؤسسات الوقفية والاستثمارية في نفس الوقت له ولذريته من بعده، كما أن عملية توالي النظار يفسر لنا السر في تحول مثل هذه الأوقاف إلى ميراث تتوارثه العائلات المقدسية جيلا عن جيل[٦٦].

وأخيرا نأت إلى منشأة مهمة جدا في ذلك العصر ألا وهي "خان تنكز" أو "خان أوطوزبير" باللغة التركية، وتعنى: واحد وثلاثين[٦٧]. ولم نعثر على تفسير لهذه التسمية، ففي وسط سوق القطانين، وفي الجهة الجنوبية من السوق يقوم بناء ذو بوابة تذكارية يُدعى خان تنكز الذي بناه في نفس السنة التي بنى فيها السوق أي سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م، هذه البوابة التذكارية تحمل رنك (شعار) الأمير تنكز وهو فنجان. والذي يقول عنه أبو المحاسن ابن تغري بردي أن الأمير تنكز " عَمَّرَ بالقدس رباطا وحمامين وقيسارية"[٦٨]. ولدينا دليل أقوى من ابن تغري بردي وهو دفتر تحرير الطابو رقم ٥٢٢، ومنه نتبين أن من ضمن الأوقاف التي حبسها على المدرسة والرباط "خان بالقرب من الحمام المذكور" أي حمام الشفا المجاور للخان. أما سبب عدم ذكر الخان في الوقفية التي نتحدث عنها والمؤرخة في سنة ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م فهو ببساطة أن الخان تم وقفه على المدرسة في وقفية أخرى صدرت بعد الوقفية الأولى بسنوات بعد بناء الخان في السنة التي عُمِّرَ فيها سوق القطانين وهي سنة ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م.

وينبغي الإشارة إلى أن باب القطانين وسوق القطانين من أبرز الآثار الإسلامية المملوكية في القدس. وهما من العمائر الإسلامية التي يقصدها كل دارسي الفن الإسلامي. وقد وصف مجير الدين الحنبلي باب القطانين فقال: "وباب القطانين سُمي بذلك لأنه ينتهي إلى سوق القطانين مكتوب عليه إن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جدد عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة فدل على أنه كان قديما. وهو باب عظيم، بناؤه في غاية الإتقان." [٦٩]. وعلى طول سوق القطانين حوانيت كثيرة كانت معدة لبيع الأقمشة القطنية والحريرية والأقطان[٧٠]. وقد وصفه ابن فضل الله العمري وهو معاصر للأمير تنكز ومات بعده بقليل فقال: "وأبوابه مصفحة من النحاس المذهب المخرم، متقن العمارة والزخرفة ويتوصل منه إلى القيسارية

المستجدة، وتشتمل على صفي حوانيت بعضها وقف على الحرم، وبعضها وقف على الخانقاه – أي الرباط – والمدرسة اللتين أنشأهما الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله"[٧١].

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة الخان كلمة فارسية معناها الأصلي "مخزن البضائع"، وهو المكان الذي يترل فيه المسافرون للراحة أو لقضاء الأعمال. ومنذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي انتعشت مؤسسة الخان وأصبحت تؤدي وظيفة مهمة، لا كترل للمسافرين فحسب، بل كمكان لقضاء الأعمال التجارية؛ ولأن أهمية المدن أصبحت تقاس بعدد الخانات الموجودة فيها. وقد ذكر لنا الرحالة التركي الذي زار القدس في القرن الحادي عشر الميلادي / السابع عشر الهجري أن في القدس ستة خانات ولعله كان يقصد الخانات التي كانت عاملة وتستقبل الزوار آنذاك[٧٢]. إلا أن المرحوم الدكتور كامل جميل العسلي قد أحصى الخانات في القدس عام ١٩٨٢م، فذكر أنها كانت ستة عشر خانا وحدد أسماءها ومواقعها، وأن معظم هذه الخانات التي ذكرها أنشئت زمن المماليك[٧٣]. ومنها خان تنكز ويذكر أن عدد الخانات التي ذكرها يعد دليلا على مدى ما تمتعت به مدينة بيت المقدس من مكانة اقتصادية وسياحية. وبما أن الخانات كانت تقام في المناطق التجارية عادة فإنه يتبين لنا من خانات القدس ومواقعها أن منطقة باب القطانين وبباب السلسلة وهما متقاربتان، كانتا أكثر المناطق أهمية من الناحية التجارية. فقد كان في كل منهما ثلاثة خانات على الأقل. وهذا يدل على أنهما كانتا قلب المدينة التجاري في العصور الوسطى.

ففي منطقة باب السلسلة وجد خان السلطان أو دار الوكالة وهو الذي بناه "مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق خلد الله ملكه" وكما جاء على لوحة من الرخام في الجهة الغربية من الخان، وذلك "في سنة ثمان وثمانين وسبعمئة"، وخان

الفحم، وخان الصرف، أما في سوق القطانين فهناك ثلاثة خانات هي: خان الغادرية، وخان تنكز، وخان القطانين[٧٤].

ومعظم هذه الخانات الستة عشر كانت مؤسسات وقفية واستثمارية في نفس الوقت، وقفت ووقف عليها، أي أنها كانت تؤجر وينفق من ريعها في أوجه البر[٧٥]، كما أنها تعد دليلا مهما على ممتلكات العرب والمسلمين في المدينة المقدسة منذ عدة قرون مضت، ولا يفوتنا أن نناشد الجميع بمديد العون بكل طريق ممكن لرعايتها وترميمها والحفاظ عليها من عوادي الزمن. كما أن بعضها كان وقفا على مصالح المسجد الأقصى، ومنها ما كان يؤجر في السنة بمبلغ أربعمائة دينار وتباع فيه أصناف البضائع[٧٦] ومنها ما كان المركز التجاري الرئيسي في القدس لبيع الخضر، ولبيع القماش والبضائع المختلفة، ومنها الزيت والفحم، وبكثير منها ورش لصناعات كثيرة، مثل الصابون وغيره وبعضها ما يزال وقفا سواء على الذرية لأسرات مقدسية، والبعض الآخر ما زال تحت إشراف إدارة الأوقاف الإسلامية بالقدس، وأن بعضها أدخلت عليه العديد من الإصلاحات والترميمات الفردية. ولم تكن هذه الخانات خاصة بالمسلمين فحسب بل منها ما هو خاص بالمسيحيين مثل خان القبط[٧٧].

الخاتمة وأهم ما توصلتُ إليه

إذا كانت وثائق الحرم القدسي الشريف التي تم اكتشافها ما بين عامي ١٩٧٤ – ١٩٧٦ بما فيها من مراسيم وصكوك بيع وشراء ووثائق رهن، ووثائق إرث وحجج شرعية لأوقاف لجميع طوائف سكان بيت المقدس بجميع دياناتهم المختلفة، فإن وثيقة وقف الأمير سيف الدين تنكز تعد إضافة جديدة لهذه الوثائق. هذه الوثيقة والتي تم الحصول عليها من سجلات المحكمة الشرعية للقدس في بدايات العصر العثماني، فإنها وبلا أدني شك تعد حجة شرعية على ممتلكات لهذا الأمير تنازل عن

ملكيتها وحبسها على أداء الخير العام لكثير من طوائف المجتمع المقدسي وبوجه خاص لمسلمي ذلك الزمان، وفي الوقت نفسه فهي حجة شرعية تثبت حقا تاريخيا مضى عليه مئات السنين، فضلا عن أنها تثبت وبما لا يدع مجالا للشك أن أسلافنا كانوا سباقين لحقوق الإنسان الاجتماعية ومنها الرعاية الصحية والبدنية، وحق ضمان مستوى المعيشة والسكنى والإقامة لفئة لا بأس بها من أبناء مدينة بيت المقدس، فضلا عن كفالة فرص العيش الكريم، ومجانية التعليم، بل وأن التعليم كان استثمارًا رفيع المستوى لكل طبقات المجتمع، فضلا عن أنها تكشف لنا مدى البذخ والثراء الذي عاش أمراء المماليك فيه، وبلا أدنى شك انعكس أثره في كثير من مجالات حياة الناس، مما دفع البروفيسور دونالد ليتل أستاذ الدراسات الإسلامية بمعهد ماكجل بمونتريال بكندا إلى القول: ويكفي مجتمع بيت المقدس الصغير فخرا بأنه كان قادرا على توفير احتياجات كل أفراده بهذا الشكل.

إلى جانب أن الوثائق، ومنها هذه الوثيقة تظل ذات أهمية بالغة في الدراسات اللغوية والأدبية والإدارية لعصر سلاطين المماليك، حيث استعملت فيها بعض مفردات من اللغة العامية في القدس في ذلك العصر أي "اللغة الدارجة"، وهذا يفيد في فهم اللغة وتطورها وتصور مصطلحاتها.

وقد قمت في الحديث عن هذه الوثيقة بالتعريف بصاحبها، ومدى البذخ والثراء الذي تمتع به، وموضوع الوثيقة، مع تلخيص الوثيقة بطريقة لا تخل بها، مع بعض الملاحظات أو التعليقات بعناية لاعتقادي أن هذا يساهم بجلاء صورة المجتمع المملوكي في مدينة بيت المقدس إلى حد ما. وتبقى الإدارة، والأسعار، وأنواع التعليم ذات أهمية كبرى وتحتاج لدراسة ونقد، وهذا ما نأمل أن يفعله فريق من الباحثين في القريب العاجل، ولقد بدأت بوادر هذا الأمل في الظهور على أيدي بعض الدارسين، والله الموفق والمعين.

الحواشي والتعليقات

١–الإمام محمد أبو زهرة: ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٤٩٥.

٢–أبو المحاسن "جمال الدين يوسف أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م": المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، الجزء الرابع، ص١٥٦ ترجمة رقم ٧٩٧.

٣–المصدر السابق، نفسه، ج٤، والصفحة ذاتها.

٤–مجير الدين الحنبلي "أبو اليمن ت ٩٢٧هـ": الأنس الجليل بتاريخي القدس والخليل، جزءان، طبع المطبعة الوهبية، القاهرة ١٢٨٣هـ، ج٢، ص٣٥.

٥–عن نص هذه الوثيقة انظر: د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، عمان، ١٩٨٣م، المجلد الأول، ص١٠٥ – ١٢٤.

٦–المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١٠٦ – ١٠٨.

٧–كامل العسلي: وثائق مقدسية، ج١، ص١٠٧.

٨–المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١٠٩

٩–المصدر السابق، نفسه، ج١، والصفحة ذاتها.

١٠–المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١١٠.

١١–المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١١٣.

١٢– المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١١٤.

١٣– المصدر السابق، نفسه، ج١، والصفحة ذاتها.

١٤– المصدر السابق، نفسه، ج١، والصفحة ذاتها.

١٥– المصدر نفسه، ج١، ص١١٥.

١٦– المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

١٧– المصدر نفسه، ج١، ص١١٥.

١٨– المصدر نفسه، ج١، ص١١٥ – ١١٦.

١٩– مجير الدين الحنبلي: نفسه، ج٢، ص٣٥.

٢٠- د. كامل جميل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، ١٩٨١م، ص١١٩.

٢١- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، فيسبادن، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج١٠، ص٤٢٨ - ٤٣٢.

٢٢- المصدر السابق، ج١٠، ص٤٣٢، وينقل عنه ابن شاكر الكتبي المتوفي عام ٧٦٤ هجرية في كتابه: فوات الوفيات، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الأول، ص١٧٩ - ١٨٢.

٢٣- المقريزي "تقي الدين أحمد بن على ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م" : كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي "د.ت"، الجزء الثاني، ص٦٢١ - ٦٢٢.

٢٤- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٥٤ - ١٥٩.

٢٥- الصفدي: كتاب الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٤٣٢؛ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٥٦ - ١٥٩.

٢٦- أحمد سامح الخالدي: المعاهد المصرية في بيت المقدس، القدس، ١٩٤٦، ص٩.

٢٧- أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج٤، ص١٦٠.

٢٨- د. كامل جميل العسلي: معاهد العلم، ص١٢٩.

29- The Travels of Fabri, P.P.T.S., Vol. 9 and 10, p. 125.

٣٠-كامل العسلي: معاهد العلم، ص١٢٩ - ١٣٠.

٣١- د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية، ج١، ص١١٦ - ١١٧.

٣٢- المصدر السابق، نفسه، ج١، ص١١٧ - ١١٨.

٣٣- المصدر نفسه، ج١، ص١١٣ - ١٢١.

٣٤- أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، حسب الدفتر ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية، تحقيق محمد إبشرلى ومحمد داود التميمي، استانبول، ١٤٠٢ - ١٩٨٢م، ص٣٨.

٣٥-كامل العسلي: نفسه، ج١، ص١١٦.

٣٦- راجع نص الوثيقة، ص١١٦ من نفس المصدر.

٣٧- نفس المصدر، ص١١٨.

٣٨- المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

٣٩- راجع نص الوثيقة، ص١٢٠ من نفس المصدر.

٤٠- المصدر نفسه، ج١، ص١١١ - ١١٢.

٤١– د. كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، عمان، ١٩٨٢، ص١٧٥.

٤٢– النعيمي "عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ت ٩٢٧هـ" :الدارس في تاريخ المدارس، مطبعة الترقي بدمشق، ١٩٤٨م، ج١، ص١٢٦.

٤٣– د. كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، ص١٨٥.

٤٤– المصدر السابق، نفسه، والصفحة ذاتها.

٤٥– المصدر السابق، نفسه، ص١٧٩ – ١٩٠.

٤٦– د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص١١٢.

٤٧– د. كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، ص١٩٠.

٤٨– المصدر السابق، نفسه، ص١٩٢ – ١٩٣.

٤٩– المصدر نفسه، ص١٩٣ – ٢٠٠.

50- Evliya Tschelebi: Seyahatnamesi, Istanbul, 1972, Vol. 13, P.250.

51-Cohen & Lewis: Population and Revenue in the Towns of Palestine in the sixteenth Century. Princeton, 1980, P.P. 69 – 70.

٥٢–د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ج١، ص١١١.

٥٣–المصدر نفسه، ج١، ص١١٢.

٥٤–المصدر السابق، نفسه، ج١، ص٢٢٤.

٥٥–مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج٢، ص٣١.

٥٦– ابن فضل الله العمري "أحمد بن محيى ت ٧٥٥هـ": مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م، ج١، ص١٥٠ – ١٥١.

٥٧– د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية، ج١، ص١١٢.

٥٨– د. كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس/ ص٢٤٢.

٥٩– المصدر السابق: نفسه، ص٢١٨.

٦٠– علي مبارك: الخطط التوفيقية، طبع بولاق، ١٣٠٥هـ، ج٦، ص٥٧.

٦١– د. كامل جميل العسلي: من آثارنا، ص٢١٩ – ٢٢٠ وما به من مصادر مختلفة.

٦٢– المصدر السابق، نفسه، ص٢١٩ – ٢٢٣.

٦٣– د. على السيد على: القدس في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٤٣، وما به من مصادر.

٦٤- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: "بعض أضواء جديدة على مدينة بيت المقدس" بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، ابريل، ١٩٨٠م، ص٢٧ – ٢٨، علي السيد علي: القدس، ص٢٤٣.

٦٥- د. محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٥٣ – ١٥٤.

٦٦- د. كامل جميل العسلي: وثائق مقدسية، ج١، ص١١٢ – ١١٩.

٦٧- د. كامل جميل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، ص٤٢، ٦٣.

٦٨- أبو المحاسن: المنهل الصافي، ج٤، ص١٦٦.

٦٩- الأنس الجليل، ج٢، ص٣٠ – ٣١.

٧٠- د. كامل جميل العسلي: من آثارنا، ص٥٧.

٧١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، ص١٦١.

72- Siyahatnames, Vol. 13. P. 250.

٧٣- من آثارنا في بيت المقدس، ص٤٢ – ٤٣.

٧٤- المصدر السابق، نفسه، ص٤٢ – ٤٥.

٧٥- المصدر السابق نفسه، ص٤٣.

٧٦- مجير الدين الحنبلي: نفس المصدر، ج٢، ص٥٢.

٧٧- د. كامل جميل العسلي: من آثارنا، ص٣٩ – ٩٢، عارف العارف: المسيحية في القدس، القدس، ١٩٥١م، ص٥١.